

الفصل الثاني

أهداف الحوار

تمهيد:

الناس لا يتحاورون من أجل أن يُسمع كُلُّ منهم الآخر ذبذبات صوته أو نغماته، ولكن كل من ينطق بكلمة يكون له هدف من إخراجها، فنجد من يكون هدفه تقديم التحية، أو إعطاء الأمر أو النهي، أو إسعاد الآخرين أو إغضابهم، أو الرغبة في حل مشكلة، أو طلب حاجة، أو تحقيق مراد، أو إيضاح أمر... إلخ.

وسوف أعرض فيما يلي للأهداف أو الأسباب الرئيسية لإجراء الحوار:

١ - تحقيق الغرض:

الحوار الناجح الذي يؤدي إلى نتيجة إيجابية هو الحوار الذي يركز فيه المحاور على الوصول إلى غرضه وتحقيق الإيجابيات التي ينشدها، دون الدخول في منعطفات جانبية قد تقود السالكن فيها إلى أن يضلوا طريقهم، وتضيع أوقاتهم، وقد يجدون أنفسهم في اختلاف، ليس فقط بخصوص الموضوع الذي جاءوا بسببه، بل أمسوا على اختلاف لدخولهم في موضوعات أخرى ظهرت لهم أثناء دخولهم في تلك المنعطفات.

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على وعي بهذا الأمر، فكان لا يجيب محاوره إلا على قدر تحقيق مراده في الإجابة، دون أن يجر نفسه أو يجر محاوره إلى أشياء أو أمور قد تحتاج من محاوره إلى جديد تفكير وسؤال، وقد يرفضها عقله، فنجد (صلى الله عليه وسلم) يجيب بأقصر إجابة تؤدي الغرض، ويركز في ذلك على أن يحقق الهدف من الحوار، ونضرب لذلك مثلاً بالحديث التالي:

عن أنس بن مالك، قال: نُهينا أن نسأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية..

فقال: يا محمد.. أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك.

قال: صدق.

قال: فمن خلق السماء؟

قال: الله.

قال: فمن خلق الأرض؟

قال: الله.

قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟

قال: الله.

قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال.. الله أرسلك؟

قال: نعم.

قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا.

قال: صدق.

قال: فبالذي أرسلك.. الله أمرك بهذا؟

قال: نعم.

قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا.

قال: صدق.

قال: فبالذي أرسلك.. الله أمرك بهذا؟

قال: نعم.

قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا.

قال: صدق.

قال: فبالذي أرسلك.. الله أمرك بهذا؟

قال: نعم.

قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

قال: صدق.

قال: ثم ولى.

قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن.

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): لئن صدق ليدخلن الجنة. ^(١)

ففي الحديث الذي سقناه كان يمكن لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يعترض على محدثه الذي يقول له:

- زعم ^(٢) لنا رسولك أنك تزعم أن الله أرسلك. قائلًا له: لا تقل: "زعم" لأن رسولي صادق، ولا تقل: "أنتك تزعم" لأنني صادق، وإذا لم تكن مصدقًا لرسولي ولي فتحمل وزرك.

لم يقل الرسول (صلى الله عليه وسلم) كل هذا، ولكنه أجاب بكلمة واحدة فقط.. قال له: "صدق"، وكذلك في بقية الحديث، لم يعترض، وحتى لم يحاول إدخاله في تفاصيل عما يسأل عنه، ولكنه لم يزد في إجابته عن كلمات:

"صدق"، و"الله"، و"تعم". وكانت نتيجة الحوار أن دخل الرجل في الإسلام.

من آداب الحوار في هذا الحديث:

أ- عدم السؤال فيما لا ضرورة إليه، فقول أنس بن مالك: "تهينا أن نسأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن شيء يرجع إلى أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا يكثر من الأسئلة عن أشياء عفا الله عنها ولا يريد أن يضيق عليهم فيها، وذلك في زمن نزول القرآن المشرع، فنهاهم الله عن أن يخوضوا في تلك المسائل، فقال (عز وجل):

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ" ^(٣).

كما نهاهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن كثرة السؤال فيما لا يفيد فقال: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم ثلاثاً: قيل، وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال" ^(٤).

١- صحيح مسلم- كتاب الإيمان حديث رقم ١٠.

٢- أكثر ما يستعمل الزعم فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب. (المعجم الوسيط).

٣- سورة المائدة، من الآية ١٠١.

٤- صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم ١٠.

"قال ابن عبد البر: السؤال اليوم لا يخاف منه أن ينزل تحريم ولا تحليل من أجله، فمن سأل مستفهماً، راغباً في العلم، ونفي الجهل عن نفسه، باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العيِّ السؤال، ومن سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره^(١)."

ويؤكد كلام ابن عبد البر ما قاله أنس بن مالك في الحديث: "فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل"، فقد حدد نوعية الرجال الذين يسألون، وهم العقلاء الذين يريدون أن يستوضحوا ما جهلوه أو يستوثقوا مما علموه.

ب- الصبر على طريقة السائل وتقدير ثقافته، فالرجل الذي يسأل الرسول هو من أهل البادية، وهو يخاطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: "يا محمد" بلفظ مجرد دون أن يقول: يا رسول الله، أي أنه لم يصدق حتى الآن أنه رسول الله، ثم هو يقول: "أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك"، وأكثر ما يستعمل الزعم فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب. ومع ذلك يرد عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دون غضب، ودون تعنيف له. وتكون النتيجة أن يدخل الرجل في دين الإسلام.

ج- إدراك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للخلفية النفسية لمحاورة وتقدير دوافع القلق والشك لديه، ولذلك لم يقل له: "كل ما قاله رسولي لك حق"، ولكنه انتظر السائل ليثير كل النقاط التي بلغها له رسوله واحدة واحدة، وهو يؤكد له حقيقتها، مما أزال الشك والقلق لديه، وأشبع حاجته في أن يصدق ما وصل إليه.

د- توقع عدم الوصول إلى المطلوب كاملاً، كما يتضح من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "لئن صدق ليدخلن الجنة".

هـ- الترتيب المنطقي للأسئلة، يظهر ذلك من ترتيب الأسئلة التي سألها الرجل البدوي الذي وصفه أنس بن مالك بأنه عاقل:

- فهو أولاً يسأل عن صانع أو خالق المخلوقات.
- ثم هو يقسم على محمد (صلى الله عليه وسلم) بهذا الصانع أو الخالق إن كان أرسله فعلاً.
- ثم هو يقسم على الرسول بحق مرسله إن كان الخالق أمره فعلاً أن يبلغ الناس ما بلغهم.

٢ - إبعاد الناس عن المشكلة:

من الأهداف المهمة في عملية الحوار إبعاد الناس عن المشكلة، فقد يجر حوار إلى إحداث مشكلة كبيرة، أو تكون هناك مشكلة ناتجة عن سبب آخر، وعلى المحاور الناجح ألا يدخل في حوار مع المتسبب في المشكلة إلا بالقدر الذي يردعه ولا يجعله يتمادى ويصر على رأيه، ثم بعد ذلك يعمل على حل المشكلة، ولا يدعها تتفاقم، ونسوق على ذلك مثالا مما عَلمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

قال ابن كثير في "البداية والنهاية" ^(١) في ذكره غزوة بني المصطلق من خزاعة: "قال ابن اسحاق: فبينما الناس على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسانن بن وبر الجهني - حليف بني عوف بن الخزرج - على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار.. و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين.. فغضب عبد الله بن أبي سلول وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم - غلام حدث - فقال: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعُدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول: سَمَنَ كلبك يأكلك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ماذا في كلمات عبد الله بن أبي؟ وما الذي يمكن أن يترتب على تلك الكلمات؟

أ - يقول: إن المهاجرين قد زاحموا الأنصار في بلادهم وديارهم وخاصموهم فيها وغلبوهم وعلوا عليهم.

ب - يقتل من شأن المهاجرين ويستهيئ بهم، فيراهم كأنهم جلابيب تمشي ليس بها رجال.

ج - يشبه الأنصار بالسيد، والمهاجرين بالكلب الذي ينقلب على سيده - الذي أطعمه وأكرمه وسَمَنَه - فيأكله.

د - يقسم أنه عند عودتهم إلى المدينة ليقوم الأنصار.. الأعزاء.. بإخراج المهاجرين.. الأذلاء.. منها.

أيوجد كلام أدعى للفتنة بين المهاجرين والأنصار أكثر من ذلك؟

١ - البداية والنهاية، ج ٤ ص ١٥٧.

علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهذه المقولة، وأدرك (عليه السلام) أنها ستكون بمثابة الشرارة التي تشعل نارًا يعلم الله وحده مداها، فحرص على أن يبعد هذه المشكلة وهذه الفتنة عن أصحابه وبأسرع ما يمكن، فأمر عمر بن الخطاب أن يأذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرتحل فيها، فارتحل الناس، ومشى بهم (عليه السلام) يومهم حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك، حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض، فوقعوا نيامًا. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي.

أدب هذا الحوار:

لما عرف عبد الله بن أبي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد علم بما قاله جاءه قبل أن يرتحل فأقسم له أنه ما قال ما بلغه ولا تكلم به، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يشأ أن يُقَلِّب أطراف الحديث، فهو حريص على أن يخمد النار، لعلمه بشرف عبد الله بن أبي في قومه، ولعلمه بالخلفية السياسية والاجتماعية لأمر عبد الله بن أبي في المدينة، ولما أكده له "أسيد بن حضير" عندما لقي النبي (صلى الله عليه وسلم) فحياه بتحية النبوة وسلَّم عليه وقال:

"يا رسول الله، والله لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح في مثلها.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟

قال: أي صاحب يا رسول الله؟

قال: عبد الله بن أبي .

قال: وما قال؟

قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل.

قال: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز.

ثم قال: يا رسول الله، أرفق، فوالله لقد جاعنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً".^(١)

من هنا كان تقدير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للخلفية السياسية والاجتماعية والنفسية التي دعت عبد الله بن أبي لأن يتلفظ بما قاله، ولذلك لم يفكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أن يعاقبه أو يسأله أو يلومه أو يعاتبه، واكتفى بقسمه أنه ما قال ما بلغه، وبترضية أسيد بن حضير له (صلى الله عليه وسلم)، وشغل المسلمين بالارتحال المتواصل نهارًا فليلاً فنهارًا لكي لا يترك لهم وقتًا ولا جهدًا لتناقل ذلك الحديث واتخاذ المواقف تجاهه. وبذلك أبعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين عن المشكلة، حتى وصلوا المدينة، وسارت كل الأمور بشكل طبيعي.

أما كلام عبد الله بن أبي فإنه يمتلئ بالجوانب السلبية، فإن غيبوبة الماضي قد جعلته يتلفظ بكلام فيه سب للمهاجرين وتقليل من شأنهم واستعداد عليهم، مما أوصله إلى أن يحلف كاذبًا أنه ما قال ما قال.

٣- توضيح الموقف وإزالة الاختلاف:

إن من الأهداف الرئيسية لعملية الحوار إزالة الاختلاف الذي يحدث بين الأطراف. وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أحوال كثيرة يجري الحوار لهذا الغرض.

وكمثال لهذا فقد جاء في البخاري عن أنس بن مالك:

"أن ناسًا من الأنصار قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أفاء الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) من أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطي رجالاً من قريش المئة من الإبل. فقالوا: يغفر الله لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يعطي قريشًا، ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم! قال أنس: فحدث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبة من آدم، ولم يدع معهم أحدًا غيرهم، فلما اجتمعوا، جاءهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال:

- ما كان حديث بلغني عنكم؟

قال له فقهاؤهم: أما ذوو آرائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا، وأما أناس منا حديثه أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يعطي قريشًا، ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم! فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

- إني أعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون^(١) إلى رحالكم برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به.

قالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا^(٢).

٤ - إرسال رسالة طيبة للطرف الآخر:

على المحاور الناجح أن يعمل - كلما أتاحت له الفرصة - على إرسال رسالة طيبة للطرف الآخر تطيب نفسه، وتبقي على المودة، وتؤكد العلاقة الطيبة وتقويها، وخصوصاً إذا أحس المحاور أن في نفس الطرف الآخر شيئاً نحوه، فيبعد الإنسان بذلك نفسه عن الكبر ويحتفظ بالطرف الآخر إلى جانبه.

ونسوق مثلاً لذلك من هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالحديث الذي سبق ذكره - في الهدف السابق - ولكن برواية أخرى:

"حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي التياح، قال سمعت أنس بن مالك قال: لما فُتحت مكة - قَسَمَ الغنائم في قريش، فقالت الأنصار:

إن هذا لهُو العجب، إن سيوفنا تقطر من دمائهم، وإن غنائمنا ترد عليهم.

فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فجمعهم فقال: ما الذي بلغني عنكم؟

قالوا: هو الذي بلغك.

وكانوا لا يكذبون.

قال: أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم، لو سلك الناس وادياً أو شِعْباً، وسلك الأنصار وادياً أو شِعْباً لسلك وادي الأنصار أو شِعْب الأنصار".^(٣)

هنا ينتهز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الفرصة ليؤكد لهم على عكس ما فهموا من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يفضل قريشاً على الأنصار، فيؤكد لهم أن الناس

١ - لأبي ذر: "وترجعوا".

٢ - صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٨١١.

٣ - صحيح مسلم. كتاب الزكاة، حديث رقم ١٣٩.

جميعاً لو اختاروا طريقاً واختار الأنصار طريقاً غيره لكان اختياره موافقاً لاختيار الأنصار.

ما أطيبها رسالة، فلتهنأوا يا أنصار رسول الله، فإن رسول الله خير البشر، والمصطفى من الله من الخلق أجمعين، وصاحب الكوثر، وصاحب الشفاعة... هواه يوافق هواكم.

٥ - التأكيد على خلاف ما يتصوره البعض عن أمر ما:

قد يحدث أن يكون هناك أمر ما يتجاذب الناس أطراف الحديث بخصوصه، ولا تكون هناك مشكلة في ذلك إلا الاعتقاد بأن صاحب الأمر يأخذ ميزات أكبر عند رئيس أو ولي أمر، وهم لا يعرفون سبب ذلك، ولا يواجهونه، ولكن الأسئلة تدور في نفوسهم البشرية، وعلى صاحب الأمر عند علمه بذلك أن يجري معهم حواراً يكون هدفه منه التأكيد على خلاف ما يتصورونه، وتوضيح الأسباب التي جعلته مقرباً لرئيسه أو ولي أمره - إن كان ذلك حادثاً فعلاً - فيزول الشك وتصفى النفوس، ونسوق مثلاً لذلك بما حدث مع أبي هريرة (رضي الله عنه):

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمثل حديث أبي هريرة، وإن إختي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إختي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصفة، أعي حين ينسون. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديثه يحدثه: إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعي ما أقول، فبسطت نمرة^(١) على، حتى إذا قضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مقالته، جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلك من شيء"^(٢).

١ - كساء ملون مخطط، كأنما سمي باسمه لشبهه بجلد النمر.

٢ - صحيح البخاري. كتاب البيوع، حديث رقم ١٨٤٨.

٦- الاستكشاف (معرفة أحوال الطرف الآخر):

في أحيان كثيرة يُجرى الحوار بهدف الاستكشاف أو معرفة أحوال الطرف الآخر، من حيث قوته أو علمه أو نواياه، أو عزمه على تحقيق هدفه.. وهكذا. وقد كانت هناك حوارات استكشافية كثيرة أجراها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأجراها أصحابه وتابعوه، أذكر منها:

عندما بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتصقون الخبر، فأصابوا إبلاً لقريش تحمل الماء، معها غلام لبني الحجاج، وغلام لبني العاص، فأتوا بهما، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائم يصلي، فقالوا: لمن أنتما؟

وظنوا أنهما لأبي سفيان، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء. فضربوهما، فلما أوجعهما ضرباً، قالوا: نحن لأبي سفيان.

فتركوهما، فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من صلاته قال:

إذا صدقاكم ضربتوهما، وإذا كذباكم تركتوهما! صدقا والله إنهما لقريش.

والتفت عليه السلام إلى الغلامين وقال: أخبراني عن قريش.

. هم وراء هذا الكثيب بالعدوة القصوى (جانب الوادي المرتفع).

. كم القوم؟

. هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم.

. ما عدتهم؟

. لا ندري.

وجهد النبي (عليه السلام) أن يخبراه كم، فأبيا، قال (صلى الله عليه وسلم):

. كم تنحرون كل يوم؟

. يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

فقال (صلى الله عليه وسلم):

. القوم بين التسعمائة والألف. (١)

وعندما عزم المسلمون على فتح مصر التي كانوا قد بُشروا بفتحها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، توجه إليها جيش كبير بقيادة عمرو بن العاص الذي فوجئ بكثرة في العدد والعدة لدى المصريين والروم، فأرسل إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يطلب منه المدد، فأمدّه عمر بأربعة آلاف مقاتل، وكتب له كتابًا قال فيه: "إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام ألف" ..

وأرسل المقوقس حاكم مصر عيونه على هؤلاء فعاد رجاله يصفونهم بما أنزل الرعب في قلبه، فأحب أن يستكشف ويتأكد بنفسه ويعرف هؤلاء، فطلب من المسلمين أن يرسلوا إليه برسلهم، فاختر عمرو بن العاص عددًا من أصحابه على رأسهم عبادة بن الصامت - أحد الذين قال عنهم عمر: الرجل منهم بألف رجل - وأشار عليهم بأن يكون عبادة هو الأمير والمتحدث. فلما قدموا على المقوقس، فهم أنه هو الأمير فخاطبه قائلاً:

- تقدم يا أسود، وكلمني برفق، فإنني أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك عليّ ازددت لك هيبة. فتقدم إليه عبادة، فقال:

- قد سمعت مقاتلتك، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل، كلهم مثلي، وأشد سوادًا مني، وأفظع منظرًا، لو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني، وأنا قد وليت، وأدبر شبابي، وإنني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مئة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعًا، وكذلك أصحابي.

فيرتجف المقوقس من كلام عبادة الذي يتابع قائلاً:

- وذلك لأن رغبتنا هي الجهاد في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا لرغبة في الدنيا، وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب، أم كان لا يملك درهمًا، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته، وشملة يلتحفها، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى، واقتصر على هذا الذي بيده، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاؤها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، بذلك أمر الله، وأمرنا نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا في الدنيا إلا ما يمسك جوعته، ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه.

- ويزداد المقوقس خوفًا ورهبة، ويتجه إلى رجاله قائلاً:

١ - محمد رسول الله و الذين معه، الجزء الثاني عشر (غزوة بدر).

- هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد هبت منظره، وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب الأرض كلها.

ويحاول المقوقس أن يقاوم ما رأى وما سمع، ويظهر تماسكه ويؤثر في نفسية المسلمين، ويفت في عضدهم، فيتوجه إلى عبادة قائلاً:

- لقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة، ممن لا يبالي أحدهم من نقي ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لم تقووا عليهم، ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلكم.

فيرد عليه عبادة قائلاً:

- يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقاً، فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم، لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه وجنته، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك، وإننا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين: إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منّا، وإن الله (عز وجل) قال لنا في كتابه:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

وتضعف مقاومة الخوف عن المقوقس عندما يسمع هذا من عبادة الذي يتابع قائلاً:

- وما منّا من رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة، وألا يرده إلى بلده، ولا إلى أرضه، ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منّا هم فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنما همنا ما أماننا.

ويلزم المقوقس الصمت التام لسمع عبادة يقول:

- وأما قولك أنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السعة، ولو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه، فانظر الذي تريد فبينه لنا،

فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيتها شئت، ولا تطمع نفسك في الباطل. بذلك أمرني الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين، وهو ما عهد به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قبله إلينا.

ماذا كانت نتيجة هذا الحوار الاستكشافي الطويل؟

يقول المقوقس لأصحابه:

- والذي يُحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم. ويرجع عبادة إلى عمرو بن العاص يزف إليه فتح مصر.

٧- التأثير في طرف ثالث:

قد يدور حوار بين طرفين ولا يقصدا منه هدفاً إلا التأثير في طرف ثالث حاضر معهما، ويكون بقصد توصيل معلومات مهمة إلى الطرف الثالث أو تعليمه، أو بقصد إحداث أمر ما لديه يجعله يفعل شيئاً أو يترك شيئاً، وقد علمنا ذلك المعلم الكبير والمرشد الهادي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأسوق الرواية التالية مثلاً على ذلك:

"عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: حدثني أبي، عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

- قال : صدقت .
- قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه .
- قال : فأخبرني عن الإيمان .
- قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.
- قال : صدقت .
- قال : فأخبرني عن الإحسان .
- قال : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
- قال : فأخبرني عن الساعة .
- قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .
- قال : فأخبرني عن أمارتها .
- قال : أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.
- قال : ثم انطلق، فلبث ملياً، ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟
- قلت : الله ورسوله أعلم .
- قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".^(١)

دار هذا الحوار بين جبريل (عليه السلام) كسائل يعرف أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كمجيب يعرف الإجابة، ولكن الهدف كان هو تعليم المسلمين دينهم، وقد صرح بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نهاية الحديث.

وقد توافرت في هذا الحديث عدة آداب من آداب الحوار نذكر منها :

- أ- المبادرة إلى تقديم أسئلة وإجابتها من طرف يعرف حاجة طرف أو أطراف أخرى لتلك الإجابة لتحديث الفائدة من ذكر الجواب للجميع . فقد سأل جبريل (عليه

١- الحديث رواه الإمام مسلم ، رقم ١ في كتاب الإيمان.

(السلام) سيدنا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) واستفاد المسلمون من معرفة الإجابة.

ب- رفق السائل بالمسئول، ومحاولة أن يرفع عنه الهيبة بتقريبه منه، فقد أسند جبريل (عليه السلام) ركبتيه إلى ركبتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ووضع كفيه على فخذه، ليشعره بقربه وتودده إليه فيشعر بالارتياح وتزول الهيبة.

ج- عدم تكبر المسئول عن أن يجيب السائل بما يعرف ويصبر معه، حتى لو كان في موقع القائد أو المعلم الذي يفترض أن يكون هو السائل وهو الممتحن أو المختبر لغيره. وقد اتضح ذلك من موقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي لم يتكبر عن أن يكون أو يظهر في دور الممتحن، وذلك في وجود أصحابه الذين يعلمهم ويرشدهم، وقد أثار ذلك دهشة وعجب أصحاب رسول الله، حتى أن عمر (رضي الله عنه) قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه.

د- على من يحضر الحوار أن يصبر وألا يتسرع أن يعرف ما جهله حتى يتبينه إن كان مسموحًا له بذلك، وخصوصًا إن كان رئيسه أو قائده هو المحاور، ويتضح ذلك من قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "فعجبنا له يسأله ويصدقه".

وكان عمر وصحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم أجمعين) قادرين على أن يقاطعوا هذا الشخص السائل الذي لا يعرفونه (جبريل عليه السلام) ويقولون له : كيف تخاطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكأنك تمتحنه في حين أنه المعلم والهادي؟ ولكن أدب الحوار فرض عليهم أن يصبروا حتى يوضح لهم رسول الله ما جهلوه.

هـ- على القائد أو الرئيس أن يوضح لمرءوسيه - حاضري الحوار - المسائل التي يحس أنهم يريدون أن يستفسروا عنها. يتضح ذلك من قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يا عمر أتدرى من السائل ؟ فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

٨- التثبت والتيقن :

عندما تكون هناك معلومة يعرفها الشخص سواء أكان سمعها أم قرأها، ويشككه شخص آخر لم يسمعها أو لم يقرأها، فإن على الشخص الأول أن يجرى حوارًا مع طرف ثالث ليتأكد من صحة معلومته أو عدم صحتها، وقد كان ذلك يحدث مع صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). والرواية التالية تعطينا مثالاً لذلك:

عن بكير بن الأشج أن بسر بن سعيد حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : كنا في مجلس عند أبيّ بن كعب، فأتى أبو موسى الأشعري مغضباً، حتى وقف، فقال : أنشدكم الله، هل سمع أحد منكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك، وإلا فارجع ؟

قال أبيّ : وما ذاك ؟

قال: استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات، فلم يؤذن لي، فرجعت، ثم جئته اليوم، فدخلت عليه فأخبرته أنني جئت أمس فسلمت ثلاثاً، ثم انصرفت .

قال: قد سمعناك، ونحن حينئذ على شغل، فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك.

قال: استأذنت كما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

قال : فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك، أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا.

فقال أبي بن كعب : فوالله لا يقوم معك إلا أحدثنا سناً، قم يا أبا سعيد، فقامت حتى أتيت عمر، فقلت : قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول هذا. ^(١)

١- صحيح مسلم . كتاب الآداب، باب الاستئذان، حديث رقم ٣٥.